

وَعَلَيْهَا مَا كُتِبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَّا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝

سورة آل عمران

مدنية وآياتها ٢٠٠ نزلت بعد الأنفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا

في الحسنات لأنها مما ينفع العبد به ، وجاءت بعلمها في السيئات لأنها مما يضر بالعبد ، وإنما قال في الحسنات كسبت وفي الشر ما كسبت ، لأن في الاكتساب ضرب من الاعتماد والمعالجة ، حسبما تقتضيه صيغة افتعل فالسيئات فاعلها يتكلف مخالفة أمر الله ، ويتعداه بخلاف الحسنات ، فإنه فيها على الجادة من غير تكلف أولان السيئات يجتد في فعلها لميل النفس إليها ، فجعلت لذلك مكتسبة ، ولما لم يكن الإنسان في الحسنات كذلك : وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتماد (ربنا لا تأخذنا إن نسينا أو أخطأنا) أي قولوا ذلك في دعائكم وبجمل أن يكون ذلك من بقية حكاية قولهم كما حكى عنهم قولهم : سمعنا وأطعنا ، والنسيان هنا هو ذهل القلب على الإنسان ، والخطأ غير العمد فذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» ، وقد كان يجوز أن يأخذ به لولا أن الله رفعه (ولا تحمل علينا إصرا) التكليف الصعبة ، وقد كانت لمن تقدم من الأمم كقتل أنفسهم ، وقرض أبدانهم ، ورفعت عن هذه الأمة . قال تعالى : ويضع عنهم إصرهم . وقيل الإصر المسخ فردة وخنازير (ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به) هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يطاق لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يقع . ثم إن الشرع دفع وقوعه . وتحقيق ذلك أن ما لا يطاق . أربعة أنواع : الأول عقلي محض : كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن . فهذا جائز وواقع بالاتفاق . والثاني عادي كالطيران في الهواء . والثاني عقلي وعادي : كالجمع بين الضدين ، فهذان وقع الخلاف في جواز التكليف بهما ، والاتفاق على عدم وقوعه ، والرابع تكليف ما يشق ويصعب ، فهذا جائز اتفاقا ، فقد كلفه الله من تقدر من الأمم ، ورفعته عن هذه الأمة (واعف عنا وافر لنا وارحمنا) ألفاظ متقاربة المعنى وبينها من الفرق أن العفو ترك المؤاخذه بالذنب ، والمغفرة تقتضي مع ذلك الستر ، والرحمة تجمع ذلك مع التفضل بالإعانة (مولانا) ولينا وسيدنا

سورة آل عمران

نزل صدرها إلى نيف وثمانين آية لما قدم نصارى نجران المدينة المنورة يناظرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عيسى عليه السلام (الم) تقدم الكلام على حروف الهجاء وقرأ الجمهور بفتح الميم هنا في الوصل لالتقاء الساكنين نحو من الناس ، وقال الزحشرى هي حركة الهمزة نقلت إلى الميم وهذا ضعيف لأنها ألف وصل تسقط في الدرج (الحى القيوم) رد على النصارى في قولهم إن عيسى هو الله لأنهم زعموا أنه صلب ، فليس بحى وليس بقيوم (الكتاب) هنا هو القرآن (بالحق) أى تضمن الحق من الأخبار والأحكام وغيرها أو بالاستحقاق (مصدقا) قد تقدم في مصدقا لما معكم (بين يديه) الكتب المتقدمة (التوراة والإنجيل) أعجميان

بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۚ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۚ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۚ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۚ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۚ

فلا يصح ما ذكره النحاة من اشتقاقهما ووزنهما (وأُنزل الفرقان) يعني القرآن وإنما كرر ذكره ليصفه بأنه الفارق بين الحق والباطل ويحتمل أن يكون ذكره أولاً على وجه الإثبات لإزالة لقوله : مصدقاً لما بين يديه ، ثم ذكره ثانياً على وجه الامتنان بالهدى به ، كما قال في التوراة والإنجيل هدى للناس ، فكأنه قال وأنزل الفرقان هدى للناس ثم حذف ذلك لدلالة الهدى الأول عليه ، فلما اختلف قصد الكلام في الموضوعين لم يكن ذلك تكراراً ، وقيل الفرقان هنا : كل ما فرق بين الحق والباطل من كتاب وغيره ، وقيل هو الزبور ، وهذا بعيد (لا يخفى عليه شيء) خبر عن إحاطة علم الله بجميع الأشياء على التفضيل ، وهذه صفة لم تكن لعيسى ، ولا غيره ، ففي ذلك رد على النصارى (هو الذي يصوركم) برهان على إثبات علم الله المذكور قبل : وفيه رد على النصارى ، لأن عيسى لا يقدر على التصوير ، بل كان مصوراً كسائر بني آدم (كيف يشاء) من طول ، وقصر ، وحسن ، وقبح ، ولون ، وغير ذلك (منه آيات محكمات) المحكم من القرآن : هو البين المعنى ، الثابت الحكم ، والمتشابه هو الذي يحتاج إلى التأويل ، أو يكون مستغلق المعنى : كحروف الهجاء ، قال ابن عباس : المحكمات الناسخات والحلال والحرام ، والمتشابهات المنسوخات والمقدم والمؤخر ، وهو تمثيل لما قلنا (هن أم الكتاب) أي عمدة ما فيه ومعظمه (فأما الذين في قلوبهم زيغ) نزلت في نصارى نجران فإهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : أليس في كتابك أن عيسى كلمة الله وروح منه قال نعم ، قالوا فحسبنا إذاً ، فهذا من المتشابه الذي اتبعوه ، وقيل نزلت في أبي ياسر بن أخطب الهمردى وأخيه حكيم ثم يدخل في ذلك كل كافر أو مبتدع ، أو جاهل يتبع المتشابه من القرآن (ابتغاء الفتنة) أي ليفتنوا به الناس (وابتغاء تأويله) أي يبتغون أن يتأولوه على ما تقتضى مذاهبهم أو يبتغون أن يصلوا من معرفة تأويله إلى ما لا يصل إليه مخلوق (وما يعلم تأويله إلا الله) إخبار بانفراد الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن وذم لمن طلب علم ذلك من الناس (والراسخون في العلم) مبتدأ مقطوع بماقبله ، والمعنى أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه وإنما يقولون آمنا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته ، وقيل إنه معطوف على ماقبله وأن المعنى أنهم يعلمون تأويله ، وكلا القولين مروى عن ابن عباس ، والقول الأول قول أبي بكر الصديق وعائشة ، وعروة بن الزبير ، وهو أرجح ، وقال ابن عطية المتشابه نوعان : نوع انفرد الله بعلمه ، ونوع يمكن وصول الخلق إليه فيكون الراسخون ابتداء بالنظر إلى الأول ، وعطفاً باظر إلى الثاني (كل من عند ربنا) أي المحكم والمتشابه من عند الله (ربنا لا تزغ قلوبنا) حكاية عن الراسخين ، ويحتمل أن يكون منقطعاً على وجه التعليم

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ۚ كَذَابِ ؕ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۚ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَابُونَ وَتَحْشُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۚ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلِهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۚ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ

والأول أرجح لاتصال الكلام، وأما قوله وما يذكر إلا أولو الألباب؛ فهو من كلام الله تعالى لاحكامية قول الراسخين إن الله لا يخلف الميعاد) استدلال على البعث وبجتملة أن يكون من تمام كلام الراسخين أو منقطعاً فهو من كلام الله (كذاب) في موضع رفع أى دأب هؤلاء كذاب (آل فرعون) وفي ذلك تهديد (والذين من قبلهم) عطف على آل فرعون، ويعنى بهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، والضمير عائداً على آل فرعون (بآياتنا) البراهين أو الكتاب (ستغلبون وتحشرون) قرئ بقاء الخطاب لليهود المدينة، وقيل لكفار قريش، وقرئ بالياء إخباراً عن يهود المدينة، وقيل عن قريش وهو صادق على كل قول أما اليهود فغلبوا يوم قريظة والنضير وقينقاع، وأما قريش ففي بدر وغيرها والأشهر أنها في بنى قينقاع؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاهم إلى الإسلام بعد غزوة بدر، فقالوا له لا يغرنك أنك قتلت نفراً من قريش لا يعرفون القتال - فلو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس، فنزلت الآية - ثم أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة (قد كان لكم آية) قيل خطاب للمؤمنين وقيل لليهود، وقيل لقريش؛ والأول أرجح أنه لبنى قينقاع الذين قيل لهم ستغلبون - ففيه تهديد لهم وعبرة كما جرى لغيرهم (في فئتين التقتا) المسلمون والمشركون يوم بدر (يرونهم مثليهم) قرئ ترونهم بالياء خطاباً لمن خوطب بقوله قد كان لكم آية - والمعنى ترون الكفار مثلى المؤمنين . ولكن الله أيد المسلمين بنصره على قدر عددهم، وقرئ بالياء - والفاعل في يرونهم المؤمنون، والمفعول به هم المشركون . والضمير في مثليهم للمؤمنين والمعنى على حسب ما تقدم . فإن قيل : إن الكفار كانوا يوم بدر أكثر من المسلمين؛ فالجواب من وجهين أحدهما أن الكفار كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين، لأن الكفار كانوا قريباً من ألف، والمؤمنون ثلاثمائة وثلاثة عشر ثم إن الله تعالى قلل عدد الكفار في أعين المؤمنين حتى حسبوا أنهم مثلهم مرتين ليتجاسروا على قتالهم إذا ظهر لهم أنهم على ما أخبروا به من قتال الواحد للآخرين من قوله وإن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وهذا المعنى موافق لقوله تعالى : وإذ يريكهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً، والآخر أنه رجع قوم من الكفار حتى بقى منهم ستمائة وستة وعشرون رجلاً، وذلك قدر عدد المسلمين مرتين وقيل إن الفاعل في يرونهم ضمير المشركين، والمفعول ضمير المؤمنين وأن الضمير في مثليهم يحتمل أن يكون للمؤمنين والمفعول للمشركين . والمعنى على هذا أن الله كثر عدد المسلمين في أعين المشركين حتى حسب الكفار المؤمنين مثلى الكافرين أو مثلى المؤمنين . وهم أقل من ذلك وإنما كثرهم الله في أعينهم ليرهبوهم، ويرد هذا قوله تعالى، ويقللهم في أعينهم (رأى العين) نصب على المصدرية ومعناه معاينة ظاهرة لا شك فيها (والله يؤيد

وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَلِيلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ۝ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَعْمَانَا فَاعْفُ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ۝ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ

بنصره من يشاء) أى أن النصر بمشيئة الله لا بالقلة ولا بالكثرة ، فإن فئة المسلمين غلبت فئة الكافرين ؛ مع أنهم كانوا أكثر منهم (زين للناس) قيل المزين هو الله وقيل الشيطان . ولا تعارض بينهما تزيين الله ؛ لإيجاد والتهيئة للارتفاع ، وإنشاء الجبل على الميل إلى الدنيا . وتزيين الشيطان بالسوسة والحديعة (والقناطر) جمع قنطار ، وهو ألف ومائتا أوقية ، وقيل ألف ومائتا مثقال ، وكلاهما مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم (المقنطرة) مبنية من لفظ القناطر وللتأكيد كدكة ولهم ألوف مؤلفة ، وقيل المضروبة ذنانير أو دراهم (المسومة) الراعية من قولهم سام الفرس وغيره إذا جال في المسارح ، وقيل المعلمة في وجوهها شيثان فهي من السمات بمعنى العلامات . قيل المعدة للجهاد (ذلك متاع الحياة الدنيا) تحقير لها ليزهد فيها الناس (قل أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ) تفضيل الآخرة على الدنيا ليرغب فيها وتتمام الكلام في قوله من ذلك ثم ابتداء قوله (للذين اتقوا) تفسيراً لذلك فجاءت على هذا مبتداً وخبره للذين اتقوا ، وقيل إن قوله للذين اتقوا متعلق بما قبله وتتمام الكلام في قوله عند ربهم ، فجاءت على هذا خبر مبتدأ مضمرة (ورضوان من الله) زيادة إلى نعيم الجنة ، وهو أعظم من النعيم حسباً ورد في الحديث (الذين يقولون) نعت للذين اتقوا ، ورفع بالابتداء ، أو نصب بإضمار فعل (الصادقين) في الأقوال والأفعال (والقانتين) العابدين والمطيعين (والمستغفرين) الاستغفار هو طلب المغفرة قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نستغفر ، فقال قولوا اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (بالأسحار) جمع سحر وهو آخر الليل يقال إنه الثالث الأخير ، وهو الذى ورد أن الله يقول حينئذ : من يستغفرني فأغفر له ، (شهد الله) الآية : شهادة من الله سبحانه لنفسه بالوحدانية وقيل معناها إعلانه لعباده بذلك (والملائكة وأولوا العلم) عطف على اسم الله أى هم شهداء بالوحدانية ، ويعنى بأولى العلم : العارفين بالله الذين يقيمون البراهين على وحدانيته (قائماً) منصوب على الحال من اسم الله أو من هو أو منصوب على المدح (بالقسط) بالعدل (لا إله إلا هو) إنما كرر التهيل لوجهين : أحدهما : أنه ذكر أولاً الشهادة بالوحدانية ، ثم ذكرها ثانياً بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة ، والآخر أن ذلك تعليم لعباده ليكثرأوا من قولها (إن الدين) بكسر الهمزة ابتداء ، وبفتحها بدل من أنه ، وهو بدل شيء من شيء ، لأن التوحيد هو الإسلام (وما اختلف الذين) الآية : إخبار أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق من أجل البغي ، وهو الحسد ، والآية

اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۖ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ أَتَّبَعَنَ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمِينَ ءَاسَلْتُمْ فَإِنْ أَسَلُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۖ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى الْكِتَابِ لِيَحْكُمَ بِهِمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مَعْرِضُونَ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۖ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعَتْ لَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۖ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنَزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ يَدِيدُ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ

في اليهود، وقيل في النصارى، وقيل فيهما (سريع الحساب) قد تقدم معناه في البقرة وهو هنا تهديد، ولذلك وقع في جواب من يكفر (فإن حاجوك) أى جادلوك في الدين، والضمير لليهود ونصارى نجران (أسلت وجهى) أى أخلصت نفسى وجملى (لله) وعبر بالوجه على الجملة ومعنى الآية لإقامة الحججة عليهم لأن من أسلم وجهه لله فهو على الحق بلا شك، فسقطت حجة من خالفه (ومن اتبعن) عطف على التاء في أسلمت ويجوز أن يكون مفعولا معه (أأسلمتم) تقرير بعد إقامة الحججة عليهم أى قد جاءكم من البراهين ما يقتضى أن تسلموا (فإنما عليك البلاغ) أى إنما عليك أن تبأخ رسالة ربك، فإذا أبلغتها فقد فعلت ما عليك، وقيل إن فيها موادة نسخها آية السيف (إن الذين يكفرون) الآية: نزلت في اليهود والنصارى توبيخا لهم ووعيدا على قبح أفعالهم، وأفعال أسلافهم (الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) هم اليهود، والكتاب هنا التوراة، أو جنس (يدعون إلى كتاب الله) قال ابن عباس: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جماعة من اليهود فيهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد، فقالوا له على أى دين أنت - فقال لهم على دين إبراهيم، فقالوا إن إبراهيم كان يهوديا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهلوا إلى التوراة فهى بيننا وبينكم، فأبوا عليه فنزلت الآية، فكتاب الله على هذا التوراة، وقيل هو القرآن: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعوهم إليه فيعرضون عنه (ذلك بأنهم) الإشارة إلى إعراضهم عن كتاب الله والباء سببية: والمعنى أن كفرهم بسبب اعتراضهم وأكاذيبهم، والأيام المعدودات قد ذكرت في البقرة (فكيف إذا جمعناهم) أى كيف يكون حالهم يوم القيامة، والمعنى تهويل واستعظام لها أعد لهم (اللهم) منادى، والميم فيه عوض من حرف النداء عند البصريين، ولذلك لا يجتمعان، وقال الكوفيون أصله يا الله أقما بخير فالميم عندهم من أقما (مالك الملك) منادى عند سيدييه، وأجاز الزجاج أن يكون صفة لاسم الله؛ وقيل إن الآية نزلت ردا على النصارى في قولهم إن عيسى هو الله لأن هذه الأوصاف ليست لعيسى، وقيل لما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن أمته يفتحون ملك كسرى وقصر: استبعد ذلك المنافقون، فنزلت الآية (بيدك الخير) قيل المراد بيدك الخير

وَتُوجَلُّ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ هـ
لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ
تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ هـ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبَدُّوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ
وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هـ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ هـ
قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ هـ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ هـ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ هـ

والشر ، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه ، وقيل إنما خص الخير بالذكر ، لأن الآية في معنى دعاء ورغبة
فكانه يقول : بيدك الخير فأجزل حظي منه (تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) قال عبد الله بن
مسعود : هي النطفة تخرج من الرجل ميتة وهو حي ، ويخرج الرجل منها حيا وهي ميتة ، وقال عكرمة : هي
إخراج الدجاجة من البيضة ، والبيضة من الدجاجة ، وقيل يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ،
فالحياة والموت على هذا استعارة ، وفي ذكر الحي من الميت المطابقة ، وهي من أدوات البيان ، وفيه أيضا
القلب لأنه قدم الحي على الميت ، ثم عكس (بغير حساب) بغير تضيق وقيل بغير محاسبة (لا يتخذ المؤمنون) الآية.
عامة في جميع الأعصار ، وسببها ميل بعض الأنصار إلى بعض اليهود ، وقيل كتاب حاطب إلى مشركي قريش (ليس
من الله في شيء) تبرؤ من فعل ذلك ووعد على موالاته الكفار ، وفي الكلام حذف تقديره : ليس من التقرب إلى الله
في شيء ، وموضع في شيء منصوب على الحال من الضمير في ليس من الله ، قاله ابن عطية (إلا أن تتقوا منهم) لإباحة لمواتهم
إن خافوا منهم والمراد موالاته في الظاهر مع البغضاء في الباطن (تقاة) وزنه فعلة بضم الفاء وفتح العين . وفاؤه واو ،
وأبدل منها ناء ، ولأما ما أبدل منها ألف ، وهو منصوب على المصدرية ، ويجوز أن ينصب على الحال من الضمير في تتقوا
(ويحذركم الله نفسه) تخويف (يوم تجد) منصوب على الظرفية والعامل فيه فعل مضمر تقديره اذكر واو خافوا وقيل
العامل فيه قدير ، وقيل المصير ، وقيل يحذركم (وما عملت من سوء) مبتدأ خبره تود ، أو معطوف (أمد) أي مسافة (والله
رؤوف) ذكر بعد التحذير تأنيسا لئلا يقرط الخوف أو لأن التحذير والتنبية رافة (فاتبعوني) جعل اتباع النبي صلى
الله عليه وسلم علامة على محبة العبد لله تعالى وشرط في محبة الله للعبد ومغفرته له ، وقيل إن الآية خطاب لنصارى نجران
ومعناها على العموم في جميع الناس (إن الله اصطفى) الآية : لما مضى صدر من محاجة نصارى نجران أخذيين لهم
ما اختلفوا فيه وأشكل عليهم من أمر عيسى عليه السلام وكيفية ولادته وبدأ بذكر آدم ونوح عليهما السلام
تكميلا للأمر لأنهما أبوان لجميع الأنبياء ، ثم ذكر إبراهيم تدريجا إلى ذكر عمران والد مريم أم عيسى عليه
السلام ، وقيل إن عمران هنا هو والد موسى ، وبينهما ألف وثمانمائة سنة ، والأظهر أن المراد هنا والد
مريم ، لذكر قصتها بعد ذلك (آل إبراهيم وآل عمران) يحتمل أن يريد بآل القرابة ، أو الاتباع ، وعلى الوجهين

ذَرِيَّةَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۖ إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۖ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۖ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ

يدخل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في آل إبراهيم (ذرية) بدل مما تقدم أحوال ووزنه فعلية منسوب إلى الذر لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذر وغير أوله في النسب ، وقيل أصل ذرية ذرورة وزنها فعولة ثم أبدل من الراء الأخيرة ياء ، فصارت ذروية ، ثم أدغمت الواو في الياء وكسرت الراء ، فصارت ذرية (إذ قالت) العامل فيه محذوف تقديره اذكروا ، وقيل عليم ، وقال الزجاج العامل فيه معنى الاصطفاء (امرأة عمران) اسمها حنة بالنون ، وهى أم مريم ، وعمران هذا هو والد مريم (نذرت) أى جعلت نذرا على أن يكون هذا الولد في بطنى حبسا على خدمة بيتك ، وهريت المقدس (محررا) أى عتيقا من كل شغل لإلا خدمة المسجد (فلما وضعتها) الآية . كانوا لا يحجرون إلا نكاح بخدمه المساجد ، فقالت (إني وضعتها أنثى) تجسرا وتلهفا على ما فاتها من النذر الذى نذرت (والله أعلم بما وضعت) قرئ وضعت بإسكان التاء وهو من كلام الله تعظيما لوضعها وقرئ بضم التاء وإسكان العين وهو على هذا من كلامها (وليس الذكر كالأنثى) يحتمل أن يكون من كلام الله ، فالغنى ليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى وهبت لك ، وأن يكون من كلامها فالغنى ليس الذكر كالأنثى فى خدمة المساجد ، لأن الذكر كانوا يخدمونها دون الإناث (سميتها مريم) إنما قالت لربها سميتها مريم لأن مريم فى لغتهم بمعنى العابدة ، فأرادت بذلك التقرب إلى الله ، ويؤخذ من هذا تسمية المولود يوم ولادته وامتنع مريم من الصرف للتعريف والتأنيث ، وفيه أيضا العجمة (وإني أعيدنها بك) ورد فى الحديث ما من مولود إلا نخسه الشيطان يوم ولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها ، لقوله : وإني أعيدنها بك : الآية (فتقبلها ربها) أى رضىها للمسجد مكان الذكر (بقبول حسن) فيه وجهان أحدهما أن يكون مصدرا على غير المصدر ، والآخر أن يكون اسما لما يقبل به كالسقوط اسم لما يسقط به (وأنبتها نباتا حسنا) عبارة عن حسن الذمأة (وكفلها زكريا) أى ضمها إلى إنفاقه وحضانتها ، والكافل هو الحاضن ، وكان زكريا زوج خالتها ، وقرئ كفّلها بتشديد الفاء ، ونصب زكريا : أى جعله الله كافلا (المحراب) فى اللغة أشرف المجالس ، وبذلك سمى موضع الإمام ، ويقال إن زكريا بنى لها عرفة فى المسجد ، وهى المحراب هنا ، وقيل المحراب موضع العبادة (وجد عندها رزقا) كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف رفا كفاة الصيف فى الشتاء ، ويقال إنهم ترضع ثديا قط ، وكان الله يرزقها (أنى لك هذا) إشارة إلى مكان أى كيف ومن أين (إن الله يرزق) يحتمل أن يكون من كلام مريم أو من كلام الله تعالى (هنالك) إشارة إلى مكان ، وقد يستعمل فى الزمان ، وهو الأظهر هنا أى لما رأى زكريا كرامة الله تعالى لمريم : سأل من الله الولد (فنادته

هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۖ فَنَادَتْهُ الْمَلَأِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ۖ قَالَ رَبِّ أُنَّى يُكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۖ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادَّكُرَ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۖ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۖ يَمْرُؤُا اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي

الملائكة) أنت رعاية للجماعة ، وقرئ بالالف على التذكير وقيل الذي ناداه جبريل وحده وإنا قيل الملائكة لقولهم فلان يركب الخيل أى جنس الخيل وإن كان فرسا واحدا (يحى) اسم سماه الله تعالى به قبل أن يولد ، وهو اسم بالعبرانية صادف اشتقاقا وبناء فى العربية ، وهو لا ينصرف ، فإن كان فى الإعراب أعجميا ففيه التعريف والعجمة ، وإن كان عربيا فالتعريف ووزن الفعل (مصدق بكلمة من الله) أى مصدقا بعيسى عليه السلام مؤمنا به ، وسمى عيسى كلمة الله ، لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها وهى قوله كن لا بسبب آخر وهو الوالد كسائر بنى آدم (وسيدا) السيد الذى يسود قومه أى يفوقهم فى الشرف والفضل (وحصورا) أى لا يأتى النساء فقل خلقه الله كذلك ، وقيل كان يمسك نفسه ، وقيل الحصور الذى لا يأتى الذنوب (أنى يكون لى غلام) تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته ، وعقم امرأته ، ويقال كان له تسع وتسعون سنة ، ولامرأته ثمان وتسعون سنة ، فاستبعد ذلك فى العادة ، مع علمه بقدرة الله تعالى على ذلك ، فسأله مع علمه بقدرة الله ، واستبعده لأنه نادر فى العادة ، وقيل سأله وهو شاب ، وأجيب وهو شيخ ، ولذلك استبعده (كذلك الله يفعل ما يشاء) أى مثل هذه الفعلة العجيبة يفعل الله ما يشاء فالكاف لتشبيه أفعال الله العجيبة بهذه الفعلة ، والإشارة بذلك إلى هبة الولد لذكرها ، واسم الله مرفوع بالابتداء ، أو كذلك خبره فيجب وصله معه ، وقيل الخبر يفعل الله ما يشاء ويحتمل كذلك على هذا وجهين : أحدهما أن يكون فى موضع الحال من فاعل يفعل ، والآخر أن يكون فى موضع خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر كذلك ، أو أنما كذلك ، وعلى هذا يوقف على كذلك والأول أرجح لاتصال الكلام ، وارتباط قوله يفعل ما يشاء مع ما قبله ولأنه نظائر كثيرة فى القرآن منها قوله كذلك أخذ ربك (اجعل لى آية) أى علامة على حمل المرأة (آيتك ألا تكلم الناس) أى علامتك أن لا تقدر على كلام الناس (ثلاثة أيام) بمنع لسانه عن ذلك مع إبقاء الكلام بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وإنما حبس لسانه عن الكلام تلك المدة ليخلص فيها لذكر الله شكرا على استجابة دعائه ولا يشغل لسانه بغير الشكر والذكر (إلا رمزا) إشارة باليد أو بالرأس أو غيرهما ، فهو استثناء منقطع (بالعشى) من زوال الشمس إلى غروبها ، والإبكار من طلوع الفجر إلى الضحى (وإذ قالت الملائكة) اختلف هل المراد جبريل أو جمع من الملائكة والعامل فى إذ مضمرة (اصطفاك) أولا حين تقبلك من أمك (وطهرك) من كل عيب فى خلق وخلق ودين (واصطفاك على نساء العالمين) يحتمل أن يكون هذا الاصطفاء مخصوصا بأن وهب لها عيسى من غير أب ، فيكون على نساء العالمين عاما ، أو يكون الاصطفاء عاما فيخص من نساء العالمين خديجة وفاطمة ، أو يكون المعنى على نساء

مَعَ الرَّا كَعِينَ ۖ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمُهُمْ إِيَّاهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ۖ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۚ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۖ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۚ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۚ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَبْرَأُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ

زمانها ؛ وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق ، وقيل إنها كانت نية لتكليم الملائكة لها (افتى) القنوت هنا بمعنى الطاعة والعبادة ، وقيل طول القيام في الصلاة وهو قول الأكثرين (واسجدى واركعى) أمرت بالصلاة فذكر القنوت والسجود لكونها من هيئة الصلاة وأركانها ، ثم قيل لها اركعى مع الرا كعين بمعنى واتكبن صلاتك مع المصلين ، أو في الجماعة فلا يقتضى الكلام على هذا تقديم السجود على الركوع ، لأنه لم يرد الركوع والسجود المنضمين في ركعة واحدة ، وقيل أراد ذلك ، وقدم السجود لأن الواو لا ترتب ، ويحتمل أن تكون الصلاة في ملتهم بتقديم السجود على الركوع (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من القصص وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (ما كنت لديهم) احتجاجا على نبوته صلى الله عليه وسلم لكونه أخبر بهذه الأخبار وهو لم يحضر معهم (يلقون أقلامهم) أى أزالهم ، وهى قداحهم ، وقيل الأقلام التى كانوا يكتبون بها التوراة اقترعوا بها على كفالة مريم ، حرصا عليها وتنافسا في كفالتها ، وتدل الآية على جواز القرعة ، وقد ثبتت أيضا من السنة (إيهم يكفل مريم) مبتدأ وخبر في موضع نصب بفعل تقديره ينظرون إيهم (يختصمون) يختلفون فيمن يكفلها منهم (إذ قالت الملائكة) إذ بدل من إذ قالت ، أو من إذ يختصمون ، والعامل فيه مضمرة (اسمه) أعاد الضمير المذكر على الكلمة ، لأن المسمى بها ذكر (المسيح) قيل هو مشتق من ساح في الأرض ، فوزنه مفعول ، وقال الآ كثرون من مسح لأنه مسح بالبركة فوزنه فاعيل وإنما قال عيسى ابن مريم والخطاب لمريم لينسبه إليها ، إعلاما بأنه يولد من غير والد (وجيها) نصب على الحال ، ووجهته في الدنيا النبوة والتقديم على الناس ، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة (في المهد) في موضع الحال ، (وكهلا) عطف عليه ، والمعنى أنه يكلم الناس صغيرا آية تدل على براءة أمه مما قذفها به اليهود ، وتدل على نبوته ، ويكلمهم أيضا كبيرا ففيه إعلام بعيشه إلى أن يبلغ سن الكهولة ، وأوله ثلاث وثلاثون سنة وقيل أربعون (ويعلمه) عطف على يبشرك أو ويكلم (الكتاب) هنا جنس ، وقيل الخط باليد ، والحكمة هنا العلوم الدينية ، أو الإصابة في القول والفعل (ورسولا) حال معطوف على ويعلمه إذ التقدير ومعلما الكتاب أو يضمه فعل تقديره أرسل رسولا أوجاه رسولا (إلى بنى إسرائيل) أى أرسل إليهم عيسى عليه السلام مبينا لحكم التوراة (أنى) تقديره بأنى (أخلق) بفتح الهمزة بدل من أنى الأولى ، أو من آية وبكسرهما ابتداء كلام (فأنفخ فيه) ذكر هنا الضمير لأنه يعود على الطين ، أو على الكاف من كهية ، وأنث في

وَأَحْيِ الْمَوْتَى يَا ذَنْ أَللهُ وَأَنْبِئْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ؕ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَى مَطْعُورِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا

المائدة لأنه يعود على الهيئة (فيكون طيرا) قيل إنه لم يخلق غير الخفاش ، وقرئ طيرا بياها سا كمة على الجمع ، وبالألف وهمزة على الإفراد ، ذكر يا ذن الله : رفعاً لوهم من توهم في عيسى الربوبية (وأبرئ) روى أنه كان يجتمع إليه جماعة من العميان والبرصاء فيدعو لهم فيبرؤن (وأحيى الموتى) روى أنه كان يضرب بعصاه الميت أو القبر فيقوم الميت ويكلمه ، وروى أنه أحيى سام بن نوح (وأنبئكم) كناية قول يافلان أكلت كذا وادخرت في بيتك كذا (ومصدقاً) عطف على رسولا أو على موضع آية من ربكم ، لأنه في موضع الحال ، وهو أحسن لأنه من جملة كلام عيسى بالتقدير : جئتكم بآية من ربكم ، وجئتكم مصدقاً (ولأحل لكم) عطف على آية من ربكم ، وكانوا قد حرم عليهم الشحم ولحم الإبل وأشياء من الحيتان والطيور فأحل لهم عيسى بعض ذلك (إن الله ربِّي وربكم) رد على من نسب الربوبية لعيسى وانتهى كلام عيسى عليه السلام إلى قوله (صراط مستقيم) وابتداءه من قوله أني قد جئتكم ، وكل ذلك يحتمل أن يكون مما ذكرت الملائكة لمريم ، حكاية عن عيسى عليه السلام أنه سيقوله ، ويحتمل أن يكون خطاب مريم قد انقطع ثم استأنف الكلام من قوله ورسولا ، على تقدير جاء عيسى رسولا : بأنني قد جئتكم بآية من ربكم ، ثم استمر كلامه إلى آخره (فلما أحس عيسى) أي علم علماً ظاهراً كعلم ما يدرك بالحواس (من أنصارى) طلب للنصرة ، والأنصار جمع ناصر (إلى الله) تقديره من يضيف أنفسهم في نصرته إلى الله فلذلك قيل إلى هنا بمعنى مع أو يتعلق بمحمد وف تقديره ذاهباً أو ملتجئاً إلى الله (الخواريون) حوارى الرجل صفوته وخاصته ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي حوارى وإن حوارى الزبير ، وقيل إن الحواريين كانوا قصارين يحورون الثياب ، أى يبيضونها ولذلك سماهم الحواريين (بما أنزلت) يريدون الإنجيل ، والرسول هنا عيسى عليه السلام (مع الشاهدين) أى مع الذين يشهدون بالحق من الأمم ، وقيل مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم يشهدون على الناس (ومكروا) الضمير لكفار بنى إسرائيل ومكروا بهم وكوا بعيسى من يقتله غيلة (ومكروا) أى رفع عيسى إلى السماء ، وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل عوضاً منه ، وعبر عن فعل الله بالمسكر مشاكلاً لقوله مكروا (والله خير الماكرين) أى أقواهم وهو فاعل ذلك بحق ، والماكر من البشر فاعل بالباطل (إذ قال الله) العامل فيه فعل مضمر ، أو بمكر (إلى متوفيك) قيل وفاة موت ، ثم أحياء الله في السماء ، وقيل رفع حيا ، ووفاة الموت بعد أن ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال ، وقيل يعنى وفاة نوم ؛ وقيل المعنى قابضك من الأرض إلى السماء

إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ * إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ يُحَاجُّوْنَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَتَتْهُ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَآتُمْ هَؤُلَاءَ حَاجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

(ورافعك إلى) أى إلى السماء (ومطهرك) أى من سوء جوارهم (الذين اتبعوك) هم المسلمون ، وعلوهم على الكفرة بالحجة وبالسيف فى غالب الامر وقيل الذين اتبعوك النصارى ، والذين كفروا اليهود ، فالآية مخبرة عن عزة النصارى على اليهود وإذلالهم لهم (ذلك نتلوهُ) إشارة إلى ما تقدم من الأخبار (من الآيات) المتملكات أو المعجزات (الذكر) القرآن (الحكيم) الناطق بالحكمة (إن مثل عيسى) الآية حجة على النصارى فى قولهم : كيف يكون ابن دون أب ، فثله الله بآدم الذى خلقه الله دون أم ولا أب ، وذلك أغرب مما استبعدوه ، فهو أقطع لقولهم (خلقه من تراب) تفسير لحال آدم فيكون حكاية عن حال ماضية ، والأصل لو قال خلقه من تراب ، ثم قال له كن فكان ، لكننه وضع المضارع مريض الماضى ليصور فى نفوس المخاطبين أن الأمر كأنه حاضر دائم (الحق) خبر مبتدأ مضمرة (فمن حاجك فيه) أى فى عيسى ، وكان الذى حاجه فيه وفد نجران من النصارى ، وكان لهم سيدان يقال لأحدهما السيد ، والآخر العاقب (نبتلن) نلتعن والبهلة اللعنة أى نقول لعنة الله على الكاذب منا ومنكم ، هذا أصل الابتهاال ؛ ثم استعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن لعنة ، ولما نزلت الآية أرسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى على وفاطمة والحسن والحسين ، ودعا نصارى نجران إلى الملاعنة فخافوا أن يهلكهم الله أو يمسخهم الله قردة وخنازير ، فأبوا من الملاعنة وأعطوا الجزية (قل يا أهل الكتاب) خطاب لنصارى نجران ، وقيل اليهود (سواء) أى عدل ونصف (أن لا نعبد) بدل من كلمة أرفع على تقدير هى ، ودعاهم صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى توحيد الله وترك ما عبدوه من دونه كالمسيح والأخبار والرهبان (لم تحاجون فى إبراهيم) قالت اليهود كان إبراهيم يهودياً وقالت النصارى : كان نصرانياً ، فنزلت الآية رداً عليهم لأن ملة اليهود والنصارى

وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ *
 إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ * وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ
 أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * يَسْأَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ
 اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * يَسْأَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ
 طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارَ وَكَفَرُوا بآخِرِهِ لَعَلَّهُمْ
 يَرْجِعُونَ * وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ
 يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ

إنما وقعت بعد موت إبراهيم بمدة طويلة (ها أنتم) ها تنبيهه ، وقيل بدل من همزة الاستفهام ، وأنتم مبتدأ وهؤلاء
 خبره وحاجتكم استئناف ؛ أو هؤلاء منصوب على التخصيص وحاجتكم الخبر (فيما لكم به علم) فيما انطقت به
 التوراة والإنجيل (فيما ليس لكم به علم) ما تقدم على ذلك من حال إبراهيم (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا)
 رد على اليهود والنصارى (وما كان من المشركين) نفى للاشتراك الذي هو عبادة الأوثان ، ودخل في ذلك
 الإشراك الذي يتضمن دين اليهود والنصارى (وهذا النبي) عطف على الذين اتبعوه : أي محمد صلى الله عليه وسلم
 (أولى الناس بإبراهيم) لأنه على دينه (والذين آمنوا) أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ودت طائفة) هم اليهود ، دعوا
 حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية (وما يضلون إلا أنفسهم) أي لا يعود وبال الإضلال إلا عليهم (وأنتم تشهدون)
 أي تعلمون أن محمد صلى الله عليه وسلم نبي (لم تلبسون الحق) أي تخلطون والحق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
 والباطل الكفر به (آمنوا بالذي أنزل) كان قوم من اليهود لعنهم الله أظهروا الإسلام أول النهار ، ثم كفروا
 آخره ليخدعوا المسلمين ، فيقولوا ما رجع هؤلاء إلا عن علم ، وقال السهيلي : إن هذه الطائفة هم عبد الله بن
 الصيف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) يحتمل أن يكون من تمام الكلام
 الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوله متصلا بقوله : إن الهدى هدى الله وأن يكون من كلام أهل الكتاب
 فيكون متصلا بقولهم : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، ويكون إن الهدى اعتراضا بين الكلامين ، فعلى الأول
 يكون المعنى : كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وقلتم ما قلتم ، ودبرتم ما دبرتم من الخداع ، فوضع أن يؤتى
 مفعول من أجله ، أو منصوب بفعل مضمر تقديره فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب
 والنبوة ، وعلى الثاني فيكون المعنى . لا تؤمنوا أي لا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم (إلا لمن تبع دينكم)
 واكتتموا ذلك على من لم يتبع دينكم لتلايدعوهم إلى الإسلام ، فوضع أن يؤتى مفعول بتؤمنوا المضمن
 معنى تقروا ، ويمكن أن يكون في موضع المفعول من أجله : أي لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كراهية أن يؤتى
 أحد مثل ما أوتيتم (أو يحاجوكم) عطف على أن يؤتى ، وضمير الفاعل للمسلمين ، وضمير المفعول لليهود (إن
 الفضل بيد الله) رد على اليهود في قولهم : لم يؤت أحد مثل ما أوتى بنو إسرائيل من النبوة والشرف (ومن

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِمَنْطَرٍ يُؤَدُّ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدُّ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتُ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بَانَهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأَمِينِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ

أهل الكتاب (الآية : إخبار أن أهل الكتاب على قسمين : أمين ، وخائن . وذكر القنطار مثالا للكثير فمن آذاه : أدى مادونه ، وذكر الدنيا مثالا للقليل ، فمن منعه منع مافوقه بطريق الأولى (فأما) يحتمل أن أن يكون من القيام الحقيقي بالجسد ، أو من القيام بالامر ، وهو العزيمة عليه (ذلك بأنهم) الإشارة إلى خيانتهم والباء للنعيل (ليس علينا) زعموا بأن أموال الأتقين ، وهم العرب : حلال لهم (الكذب) هنا قولهم ، إن الله أحلها عليهم في التوراة أو كذبهم على الإطلاق (بلى) عليهم سبيل وتباعة في أموال الأتقين (بعده) الضمير يعود على من أو على الله (إن الذين يشترون) الآية : قيل نزلت في اليهود لأنهم تركوا عهد الله في التوراة لأجل الدنيا ، وقبل نزلت بسبب خصومة بين الأشعث من قيس وآخر ، فأراد خصمه أن يحلف كاذبا (وإن منهم) الضمير عائد على أهل الكتاب (يلوون ألسنتهم) أى يحرفون اللفظ أو المعنى (لتحسبوه) الضمير يعود على مادل عليه قوله يلوون ألسنتهم ، وهو الكلام المحرف (ما كان لبشر) الآية : هذا النفي متسلط على (ثم يقول للناس) والمعنى لا يدعى الربوبية من آتاه الله النبوة ، والإشارة إلى عيسى عليه السلام ردة على النصارى الذين قالوا إنه الله ، وقيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن اليهود قالوا له يا محمد : تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى فقال معاذ الله ما بذلك أمرت ولا إليه دعوت (ربانيين) جمع ربانى ، وهو العالم ، وقيل الربانى الذى يرى الناس بصغار العلم قبل كباره (بما كنتم) الباء ميبية وما مصدرية (تعلمون) بالتخفيف تعرفون . وقرئ بالتشديد من التعليم (ولا يأمركم) بالرفع استئناف ، والفاعل الله أو البشر المذكور ، وقرئ بالنصب عطف على أن يؤتیه أو على ثم يقول ، والفاعل على هذا البشر (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) معنى الآية أن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبي أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وينصره إن أدركه ، وتضمن ذلك أخذ هذا الميثاق على أمم الأنبياء ، واللام في قوله (لما آتيتكم) لام التوطئة ، لأن أخذ الميثاق فى معنى الاستخلاف ، واللام فى لنؤمن

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّمَّا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا
أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ
يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا
وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ
رَبِّهِمْ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ * كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا
لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

جواب القسم ، وما يحتمل أن تكون شرطية ، ولتؤمنن سدد مستد جواب القسم والشرط . وأن تكون
موصولة بمعنى الذي آتيناكوه (لتؤمنن به) والضمير في به ولتنصرنه عائد على الرسول (ماقررتهم) أى اعترقتهم
(إصرى) عهدى (فاشهدوا) أى على أنفسكم وعلى أئمتكم بالتزام هذا العهد (وأنا معكم) تأكيد للعهد بشهادة
رب العزة جل جلاله (بعد ذلك) أى من تولى عن الإيمان بهذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا
الميثاق فهو فاسق مرتد متمردي كفره (أفغير) الهمزة للإنكار ، والفاء عطفت جملة على جملة ، وغير مفعول قديم
للاهتمام به أو للحصر (وله أسلم) أى انقادوا واستسلم (طوعا وكرها) مصدر صدر في موضع الحال ، والطوع للؤمنين
والكره للكافر إذا عاين الموت ، وقيل عند أخذ الميثاق المتقدم ، وقيل إقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كرها
(قل آمنا) أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبر عن نفسه وعن أئمة بالإيمان (وما أنزل علينا) تعدى هنا
بعلل مناسبة لقوله قل ، وفي البقرة إلى لقوله قولوا . لأن على حرف استعلاء يقتضى النزول من علو . ونزوله
على هذا المعنى مختص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم . وإلى حرف غاية وهو موصل إلى جميع الأمة (ومن
يبتغ) الآية : إبطال لجميع الأديان غير الإسلام ، وقيل نسخت : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى الآية
(كيف) سؤال والمراد به هنا استبعاد الهدى (قوما كفروا) نزلت في الحرث بن سويد وغيره أسلموا ثم
ارتدوا ولحقوا بالكفار ثم كتبوا إلى أهلهم هل لنا من توبة ؟ فنزلت الآية إلى قوله : إلا الذين تابوا ، فرجعوا
إلى الإسلام ؛ وقيل نزلت في اليهود والنصارى شهدوا بصفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآمنوا به ثم
كفروا به لما بعث ، وشهدوا عطف على إيمانهم ، لأن معناه بعد أن آمنوا ، وقيل الواو للحال ، وقال ابن
عطية . عطف على كفروا والواو لا ترتب (والناس أجمعين) عموم بمعنى الخصوص في المؤمنين أو على عمومهم
وتكون اللعنة في الآخرة (خالدين فيها) الضمير عائد على اللعنة ، وقيل على النار وإن لم تسكن ذكرت ؛ لأن المعنى

وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ قَلِيلٌ يُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمْ مَلَأَ الْأَرْضَ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ
مِّنْ نَّاصِرِينَ * لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ * كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ
حَلَٰلًا لِّبَنِي إِسْرَٰئِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰئِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَاتَّبِعُوا تِلْكَ الْتَّوْرَةَ فَاتَّبِعُوا
إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَمَن افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ صَدَقَ اللَّهُ
فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى

بِقِصَّتِهَا (ثم ازدادوا كفرا) قيل هم اليهود كفروا بعيسى بعد إيمانهم بهوسى ، ثم ازدادوا كفرا بكفرهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن كانوا مؤمنين قبل مبعثه ، ثم
ازدادوا كفرا بعد موتهم له وطعنهم عليه ؛ وقيل هم الذين ارتدوا (ان تقبل توبتهم) قيل ذلك عبارة عن موتهم
على الكفر : أى ليس لهم توبة فتقبل ، وذلك فى قوم بأعيانهم ختم الله لهم بالكفر ، وقيل ان تقبل توبتهم
مع إقامتهم على الكفر ، فذلك عام (فان يقبل من أحدهم ملء) جزم بالعذاب لكل من مات على الكفر .
والواو فى قوله : ولو افتدى به ، قبل زائدة وقبل للعطف على محذوف ، كأنه قال : ان يقبل من أحدهم لو تصدق به (ولو
افتدى به) وقيل نفي أو لا القبول جملة على الوجوه كلها ، ثم خص الفدية بالنفي كقولك : أنا لا أفعل كذا أصلا ولورغبت
إلى (لر تنالوا البر) أى ان تكونوا من الأبرار وان تنالوا البر الكامل (حتى تنفقوا مما تحبون) من أموالكم ولما
نزلت قال أبو طلحة إن أحب أموالى إلى بئرحاء ، ولما صدقة ، وكان ابن عمر يتصدق بالسكر ويقول إنى لأحبه
(كل الطعام) الآية لإخبار أن الأطعمة كانت حلالا لبني إسرائيل (إلا ما حرم إسرائيل) أبوه (على نفسه)
وهو لحم الإبل ولبنها ثم حرمت عليهم أنواع من الأطعمة كالشحوم وغيرها عقوبة لهم على معاصيهم ، وفيها
رد عليهم فى قولهم إنهم على ملة إبراهيم عليه السلام وأن الأشياء التى هى محرمة كانت محرمة على إبراهيم ،
وفيها دليل على جواز النسخ ووقوعه لأن الله حرم عليهم تلك الأشياء بعد حلها ، خلافا لليهود فى قولهم إن
النسخ محال على هذه الأشياء ، وفيها معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لإخباره بذلك من غير تعلم من أحد وسبب
تحريم إسرائيل لحوم الإبل على نفسه أنه مرض فنذر إن شفاه الله أن يحرم أحب الطعام إليه شكرا لله وتقربا
إليه ، وبؤخذ من ذلك أنه يجوز الأنبياء أن يحرموا على أنفسهم باجتهادهم (فاتوا بالتوراة) تعجيزا لليهود ،
وإقامة حجة عليهم ، وروى أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة (فمن افترى) أى من زعم بعد هذا البيان أن
الشحم وغيره كان محرما على بنى إسرائيل قبل نزول التوراة فهو الظالم المسكبر بالباطل (صدق الله) أى الأمر
كما وصف لا كما تكذبون أتم ففيه تعريض بكذبهم (فاتبعوا ملة إبراهيم) لإلزام لهم أن يسلموا كما ثبت
أن ملة الإسلام هى ملة إبراهيم التى لم يحرم فيها شيء مما هو محرم عليهم (إن أول بيت) أى أول مسجد بنى
فى الأرض ، وقد سأل أبو ذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أى مسجد بنى أول ؟ قال : المسجد الحرام ،
ثم بيت المقدس ، وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : المعنى أنه أول بيت وضع مباركاً وهدى وقد كانت
قبله بيوتا (بيكة) قيل هى مكة والباء بدل من الميم ، وقيل مكة الحرم كله ، وبكة المسجد وما حوله (مباركا)

لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ أُسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ * قُلْ يَسْأَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَى مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَسْأَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا
اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
كُفْرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتْلُوا عَلَيَكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى

نصب على الحل والعامل فيه على قول على وضع (مباركا) على أنه حال من الضمير الذي فيه وعلى القول الأول
هو حال من الضمير المجرور والعامل فيه العامل المجرور من معنى الاستقرار (فيه آيات بينات) آيات البيت
كثيرة، منها الحجر الذي هو مقام إبراهيم وهو الذي قام عليه حين رفع القواعد من البيت، فكان كلما طال
البناء ارتفع به الحجر في الهواء حتى أكمل البناء، وغرقت قدم إبراهيم في الحجر كأنها في طين، وذلك الأثر
باق إلى اليوم، ومنها أن الطيور لا تعلوه، ومنها إهلاك أصحاب الفيل، ورد الجبابرة عنه ونبع زمزم لهاجر
أم إسماعيل بهمز جبريل بعقبه وحفر عبد المطلب بعدد ثورها وأن ماؤها ينفع لما شرب له إلى غير ذلك
(مقام إبراهيم) قيل إنه بدل من الآيات أو عطف بيان، وإنما جاز بدل الواحد من الجمع لأن المقام يحتوى
على آيات كثيرة لدلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة إبراهيم وغير ذلك، وقيل الآيات: مقام إبراهيم،
وآمن من دخله، فعلى هذا يكون قوله ومن دخله عطا، وعلى الأول استئنافا، وقيل التقدير منهن مقام إبراهيم،
فهو على هذا مبتدأ، والمقام هو الحجر المذكور، وقيل البيت كله، وقيل مكة كلها (كان آمنا) أى آمنا من
العذاب، فإنه كان في الجاهلية إذا فعل أحد جرمة ثم لجأ إلى البيت لا يطلب، ولا يعاقب، فأما في الإسلام فإن الحرم
لا يمنع من الحدود ولا من القصاص، وقال ابن عباس وأبو حنيفة ذلك الحكم باق في الإسلام إلا أن من وجب عليه حد
أو قصاص فدخل الحرم لا يطعم ولا يباع منه حتى يخرج وقيل آمنا من النار (حج البيت) بيان لوجوب الحج
واختلف هل هو على الفور أو على التراخي، وفي الآية رد على اليهود لما زعموا أنهم على ملة إبراهيم قيل لهم إن كنتم
صادقين فحجوا البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إليه (من استطاع) بدل من الناس، وقيل فاعل بالمصدر،
وهو حج؛ وقيل شرط مبتدأ: أى من استطاع فعليه الحج؛ والاستطاعة عند مالك هي القدرة على الوصول
إلى مكة بصحة البدن إما راجلا وإما راكبا مع الزاد المبالغ والطريق الآمن وقيل الاستطاعة الزاد والراحلة،
وهو مذهب الشافعي وعبد الملك بن حبيب وروى في ذلك حديث ضعيف (ومن كفر) قيل المعنى من لم
يجمع، وعبر عنه بالكفر تغليظا كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: من ترك الصلاة فقد كفر، وقيل أراد
اليهود لأنهم لا يحججون، وقيل من زعم أن الحج ليس بواجب (لم تكفرون) توبيخ لليهود (لم تصدقون) توبيخ
أيضا، وكانوا يمنعون الناس من الإسلام ويرومون فتنه المسلمين عن دينهم (سبيل الله) هنا الإسلام (تبغونها
عوجا) الضمير يعود على السبيل أى تطلبون لها العوجاج (وأتم تشهدون) أى تشهدون أن الإسلام حق
(إن تطيعوا فريقا) الآية: لفظها عام والخطاب الأوس والحزرج إذ كان اليهود يريدون فتنهم (وكيف

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۚ يَسْأَلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ۖ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۚ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۚ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ

تَكْفُرُونَ) إنكار واستبعاد (حق تقاته) قيل نسخها ، فاتقوا الله ما استطعتم ، وقيل لانسح إذ لا تعارض فإن العباد أمروا بالتقوى على الكمال فيما استطاعوا تحرزا من الإكراه وشبهه (واعتصموا بحبل الله) أى تمسكوا ، والحبل هنا مستعار من الحبل الذى تشد عليه اليد ، والمراد به هنا القرآن ، وقيل الجماعة (ولا تفرقوا) نهى عن التدابر والتقاطع ، إذ قد كان الأوس هموا بالقتال مع الخزرج لما رام اليهود إيقاع الشر بينهم ، ويحتمل أن يكون نهيا عن التفرق فى أصول الدين ولا يدخل فى النهى الاختلاف فى الفروع (إذ كنتم أعداء) كان بين الأوس والخزرج عداوة وحروب عظيمة إلى أن جمعهم الله بالإسلام (شفاحفرة) أى حرف حفرة وذلك تشبيه لما كانوا عليه من الكفر والعداوة التى تقودهم إلى النار (ولتكن منكم أمة) الآية : دليل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب ، وقوله منكم : دليل على أنه فرض كفاية لأن من للتبعض ، وقيل لأنها لبيان الجنس ، وأن المعنى كونوا أمة وتغيير المنكر يكون باليد وباللسان وبالقلب ، على حسب الأحوال (كالذين تفرقوا) هم اليهود والنصارى نهى الله المسلمين أن يكونوا مثلهم ، وورد فى الحديث أنه عليه السلام قال : افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفرق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ، قيل ومن تلك الواحدة ؟ قال : من كان على ما أنا وأصحابى عليه (يوم تبيض وجوه) العامل فيه محذوف وقيل عذاب عظيم (أكفرتم بعد إيمانكم) أى يقال لهم أكفرتم والخطاب لمن ارتد عن الإسلام وقيل للخوارج ، وقيل لليهود لأنهم آمنوا بصفة النبى صلى الله عليه وآله وسلم المذكورة فى التوراة ثم كفروا به لمسابعت (كنتم خيرا أمة) كان هناهى التى تقتضى الدوام كقوله وكان الله غفورا رحيما ، وقيل كنتم فى علم الله ، وقيل كنتم فيما وصفتم به فى الكتب المتقدمة ، وقيل كنتم بمعنى

مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ * لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتُلُواكُمْ يُولَوْكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ *
ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا ثَقَفُوا إِلَّا لِيَجْلِيَ مِنَ اللَّهِ وَحِجْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءٌ وَابِغَضٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
الْمُسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
يَعْتَدُونَ * لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَاتِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ *
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسِرُّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ
مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ
أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرَاصَاتٌ حَرَّتْ قَوْمٌ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ *
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ
أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَٰؤُلَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ

أنتم ، والخطاب لجميع المؤمنين ، وقيل للصحابة خاصة (لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى) أى بالكلام خاصة وهو أهون
المضرة (يُولَوْكُمْ الْأَدْبَارَ) إخبار بغيب ظهر في الوجود صدقه (ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ) إخبار مستأنف غير معطوف
على يُولَوْكُمْ ، وفائدة ذلك أن توليهم الأدبار مقيد بوقت القتال ، وعدم النصر على الإطلاق ، وعطفت الجملة
على جملة الشرط والجزاء ، وثم لترتيب الأحوال لأن عدم نصرهم على الإطلاق أشد من توليهم
الأدبار حين القتال (إِلَّا لِيَجْلِيَ مِنَ اللَّهِ) الحبل هنا العهد والذمة (لَيْسُوا سَوَاءً) أى ليس أهل الكتاب مستويين
في دينهم (أُمَّةٌ قَاتِمَةٌ) أى قائمة بالحق ، وذلك فيمن أسلم من اليهود : كعبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سعيد وأخيه
أسد وغيرهم (وَهُمْ يَسْجُدُونَ) يدل أن تلاوتهم للكتاب في الصلاة (فَلَنْ تُكْفَرُوهُ) أى لن تحرموا ثوابه (مَثَلُ
مَا يُنْفِقُونَ) الآية : تشبيه لنفقة الكافرين بزرع أهلكته ريح باردة فلن ينتفع به أصحابه فكذلك لا ينتفع
الكفار بما ينفقون وفي الكلام حذف تقديره : مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك
ريح وإنما احتج لهذا لأن ما ينفقون ليس تشبيها بالريح إنما هو تشبيه بالزرع الذى أهلكته الريح (صرّ) أى برد
(حرث قوم ظلموا أنفسهم) أى عصوا الله فعاقبهم بإهلاك حرثهم (وما ظلمهم الله) الضمير للكفار ، أو المنافقين ،
أو لأصحاب الحرث ، والأول أرجح ، لأن قوله أنفسهم يظلمون فعل حال يدل على أنه للحاضرين (بَطَانَةٌ مِّنْ
دُونِكُمْ) أى أولياء من غيركم فالمعنى نهى عن استخلاص الكفار وموالاتهم وقيل لعمر رضى الله عنه إن هنا
رجلا من النصارى لا أحد أحسن خطامته ، أفلا يكتب عنك : قال إذا اتخذ بطانة من دون المؤمنين (لَا يَأْلُونَكُمْ
خَبَالًا) أى لا يقصرون في إفسادكم ، والخبال الفساد (وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ) أى تمنوا مضرتكم ، وما بصدرية وهذه

وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ إِنْ تَسْأَلُهُمْ حَسَنَةُ تَسْأَلُهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ۝ إِذْ يَقُولُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ۝ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدَدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ

الجملة والتي قبلها صفة للبطانة أُرستاف (وتؤمنون بالكتاب كله) أي بكل كتاب أنزله الله واليهود لا يؤمنون بقرآنكم (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه ، والأنامل جمع أنملة بضم الميم وفتحها (موتوا بغيظكم) تقرُّبُوع وإغاظه ، وقيل دعاء (إن تأسسكم حسنة) الحسنة هنا : الخيرات من النصر والرزق وغير ذلك ، والسبئية ضدها (لا يضركم) من الضير بمعنى الضر (وإذ غدوت من أهلك) نزلت في غزوة أحد ، وكان غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال صبيحة يوم السبت وخرج من المدينة يوم الجمعة بعد الصلاة وكان قد شاور أصحابه قبل الصلاة (تبوئ المؤمنون) تنزلهم وذلك يوم السبت حين حضر القتال ، وقيل ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة ، وذلك ضعيف لأنه لا يقال غدوت فيما بعد الزوال إلا على الجواز ، وقيل ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس وذلك ضعيف لأنه لم يبوئ حينئذ مقاعد للقتال إلا أن يراد أنه بوأهم بالتدبير حين المشاورة (مقاعد) مواضع وهو جمع مقعد (طائفتان منكم) هم بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج ، لما رأوا كثرة المشركين وقلة المؤمنين هموا بالانصراف فعصمهم الله ونهضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن تفشلا) الفشل في البدن هو الإعياء ، والفشل في الرأي هو العجز والخيرة وفساد العزم (والله وليهما) أي مشيتهما ، وقال جابر بن عبد الله ماوددنا أنهما تنزل لقوله والله وليهما (ولقد نصركم الله بيدر) تذكير بنصر الله لهم يوم بدر لتقوى قلوبهم (وأنتم أذلة) الذلة هي قلة عددهم وضعف عددهم كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ولم يكن لهم إلا فرس واحد وكان المشركون ما بين التسعمائة والآلاف ، وكان معهم مائة فرس فقطل من المشركين سبعون وأسر منهم سبعون وانهزم سائرهم (لعلكم تشكروا) متعلق بنصركم أو باتقوا ؛ والاول أظهر (إذ تقول للمؤمنين) كان هذا القول يوم بدر ، وقيل يوم أحد ، فالعامل في إذ على الاول محذوف ، وعلى الثاني بدل من إذ غدوت (ألن يكفيكم) تقرير جوابه بلى ، وإنما جواب المتكلم لصحة الأمر وبيانه كقوله قل « من رب السموات والأرض قل الله ، (ويأتوكم من فورهم) الضمير للمشركين ، والفور السرعة : أي من ساعتهم وقيل المعنى من سفرهم (بخمسة آلاف) بأكثر من العدد الذي يكفيكم ليزيد ذلك في قوتكم فإن كان هذا يوم

اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَبُوا خَائِبِينَ * لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ * وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَأَتَأْتِيَ الرَّبَّوَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاءُ وَهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتُ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ

بدر، فقد قاتلت فيه الملائكة وإن كان يوم أحد فقد شرط في قوله: إن تصبروا وتقوا، فلما خالفوا الشرط لم تنزل الملائكة (مسومين) بفتح الواو وكسرها أي معلين، أو معلين أنفسهم أو خيلهم، وكانت سيم الملائكة يوم بدر عمامهم بيضاء، إلا جبريل فإنه كانت عمامته صفراء، وقيل كانت عمامهم صفراء، وكانت خيلهم مجرورة الأذنان وقيل كانوا على خيل بلق (وما جعله) الضمير عائد على الإنزال، أو الإمداد (ولتطمئن) معطوف على بشرى لأن هذا الفعل بتاويل المصدر، وقيل يتعلق بفعل مضمر يدل عليه جعله (ليقطع) يتعلق بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر (ليس لك من الأمر شيء) جملة اعتراضية بين المعطوفين ونزلت لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة على أحياء من العرب فترك الدعاء عليهم (أو يتوب عليهم) معناها يسلمون (أضعافا مضاعفة) كانوا يزيدون كل ما حل عاما بعد عام (سارعوا) بغير واو استئناف، وبالواو عطف على ما تقدم (إلى مغفرة) أي إلى الأعمال متى تستحقونها بها المغفرة (عرضها) قال ابن عباس: تقرر السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلا الله: وقيل ليس العرض هنا خلاف الطول وإنما المعنى سعتها كسعة السموات والأرض (في السراء والضراء) في العسر واليسر (وهم يعلمون) حذف مفعوله وتقديره وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا (قد خلت من قبلكم سنن) خطاب للمؤمنين تأنيسا لهم وقيل للكافرين تخويفا لهم (فانظروا) من نظر العين عند الجمهور وقيل هو بالفسك (ولاتهنوا) تقوية لقلوب المؤمنين (وأتم الاعلون) إخبار بعلو كلمة الإسلام (إن يمسسكم قرح) الآية معناها إن مسكم قتل أو جراح في أحد فقد مس الكفار مثله في بدر، وقيل قد مس الكفار يوم أحد مثل ما مسكم فيه فإنهم

شَلَّهِ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوْهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُرَدَّاءَ ۖ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۚ
وَلِيَمَحُصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنَّ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا
مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ * وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمْنُونَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَآهُمُ وَإِنَّهُمْ تَنْظُرُونَ * وَمَا
مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ
فَلَنَ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۚ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ
يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ * وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ
مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا ۖ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا

نالوا مِنْكُمْ وَنَلْتَمِ مِنْهُمْ وَذَلِكَ تَسْلِيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالنَّاسِ (نَدَاوْهَا) تَسْلِيَةٌ أَيْضًا عَمَّا جَرَى يَوْمَ أُحُدٍ (وَلِيَعْلَمَ)
مَتَعَلِّقٌ بِمُحَذِّفٍ تَقْدِيرُهُ أَصَابَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ لِيَعْلَمَ وَالْمَعْنَى لِيَعْلَمَ ذَلِكَ عَلِمًا ظَاهِرًا لَكُمْ تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ
(شُهَدَاءُ) مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ (وَلِيَمَحُصَ اللَّهُ) أَيْ يَظْهَرُ ، وَقِيلَ يَمِيزُ ، وَهُوَ مُعْطُوفٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ
مِنَ التَّعْلِيلَاتِ لِقِصَّةِ أُحُدٍ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ إِدَالَةَ الْكُفَّارِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِنَّمَا هِيَ لِمَحْصِصِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْ نَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَى الْكُفَّارِ إِنَّمَا هُوَ لِيَمَحُصَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ أَيْ يَهْلِكَهُمْ (أَمْ حَسِبْتُمْ) أَمْ هُنَا مُنْقَطِعَةٌ مَقْدَرَةٌ بَيِّنٌ وَالْهَمْزُ
عِنْدَ سَيُوبِهِ ، وَهَذِهِ الْآيَةُ وَمَا بَعْدَهَا مُعَاتَبَةٌ لِقَوْمٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ صَدَرَتْ مِنْهُمْ أَشْيَاءُ يَوْمَ أُحُدٍ (تَمْنُونَ الْمَوْتَ)
خَوَّطَ بِهِ قَوْمٌ فَاتَهُمْ غُرُورٌ بَدَرْتَهُمْ حُضُورُ قِتَالِ الْكُفَّارِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَيْسَتْ دُرُكُوا
مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْجِهَادِ فَعَلَى هَذَا إِنَّمَا تَمْنَوُا الْجِهَادَ وَهُوَ سَبَبُ الْمَوْتِ ، وَقِيلَ إِنَّمَا تَمْنَوُا الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) الْمَعْنَى أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولٌ كَسَاءَرِ الرُّسُلِ قَدْ بَلَغَ الرِّسَالَةَ كَمَا بَلَغُوا فَيَجِبُ
عَلَيْكُمْ التَّمَسُّكُ بِدِينِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ وَسَبَبُهَا أَنَّهُ صَارَخَ يَوْمَ أُحُدٍ . إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، فَتَزُولُ بَعْضُ
النَّاسِ (أَفَإِنْ مَاتَ) دَخَلَتْ أَلْفُ التَّوْبِيخِ عَلَى جَمَلَةِ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ ، وَدَخَلَتْ الْفَاءُ لِرَبْطِ الْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ بِالْجُمْلَةِ الَّتِي
قَبْلَهَا وَالْمَعْنَى أَنَّ مَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَوْ قَتْلَهُ لَا يَقْتَضِي انْقِلَابَ أَصْحَابِهِ عَلَى
أَعْقَابِهِمْ ، لِأَنَّ شَرِيعَتَهُ قَدْ تَقَرَّرَتْ وَبَرَاهِينُهُ قَدْ صَحَّتْ ، فَعَاتَبَهُمْ عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ لَوْ صَدَرَ مِنْهُمْ انْقِلَابٌ لَوْ
مَاتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ قُتِلَ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقْتُلُ وَلَكِنْ ذَكَرَ ذَلِكَ لِمَا صَارَخَ بِهِ صَارَخَ وَوَقَعَ فِي نَفْسِهِمْ
(الشَّاكِرِينَ) قَالَ عَلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الثَّابِتُونَ عَلَى دِينِهِمْ (كِتَابًا مُوَجَلًّا) نَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ لِأَنَّ
الْمَعْنَى كَتَبَ الْمَوْتَ كِتَابًا ، وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ نَصَبَ عَلَى التَّمْيِيزِ (نُؤْتِهِ مِنْهَا) فِي ثَوَابِ الدُّنْيَا ، مُقَيَّدٌ بِالْمَشِيشَةِ بِدَلِيلِ
قَوْلِهِ عَجَّائِلًا لَهَا فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ (وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ) الْفَعْلُ مُسْنَدٌ إِلَى ضَمِيرِ النَّبِيِّ وَمَعَهُ رَبِّيُونَ عَلَى هَذَا فِي
مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَقِيلَ إِنَّهُ مُسْنَدٌ إِلَى الرِّيْبِ ، فَيَكُونُ رَبِّيُونَ عَلَى هَذَا مَفْعُولًا لِمَا لَمْ يَسْمَعْ فَاعِلُهُ فَعَلَى الْأَوَّلِ
يُوقَفُ عَلَى قَوْلِهِ قُتِلَ ، وَيُتَرَجَّحُ الْأَوَّلُ : بِمَا صَارَخَ بِهِ الصَّارِخُ يَوْمَ أُحُدٍ : إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، فَضَرْبُ لَمْ يَمُوتْ
بَنِي قُتِلَ ، وَيُتَرَجَّحُ الثَّانِي بِأَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ قُتِلَ نَبِيٌّ فِي مُحَارَبَةٍ (رَبِّيُونَ) عُلَمَاءُ مِثْلَ رَبَانِيِّينَ ، وَقِيلَ جَمْعُ كَثِيرَةٍ (فَمَا)

كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسْنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ * سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَهُمْ مَلَأَهُ يَنْزِلُ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ * وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا يُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوَنَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ

وهنوا الضمير لريون على إسناد القتل للنبي ، وهو لم يق منهم على إسناد القتل إليهم (وما استكانوا) أى لم يدلوا للكفار قال بعض النحاة : الاستكان مشتق من السكون ، ووزنه افتعلوا مطلت فتحة الكاف فحدث عن مطالها ألف وذلك كالإشباع ، وقيل إنه من كان يكون ، فوزنه استفعلوا ، وقوله تعالى فما وهنوا وما بعده : تعريض لما صدر من بعض الناس يوم أحد (ثبت أقدامنا) أى فى الحرب (ثواب الدنيا) النصر (ثواب الآخرة) الجنة (إن تطيعوا الذين كفروا) هم المنافقون الذين قالوا فى قضية أحد ما قالوا ، وقيل مشركوا قريش وقيل اليهود (الرعب) قبل ألقى الله الرعب فى قلوب المشركين بأحد فرجعوا إلى مكة من غير سبب ، وقيل لما كانوا يبيع بعض الطريق هموا بالرجوع ليستأصلوا المسلمين ، فألقى الله الرعب فى قلوبهم ، فأمسكوا ، والآية تتناول جميع الكفار لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : نصرت بالرعب (ولقد صدقكم الله وعده) كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد وعد المسلمين عن الله بالنصر فصرهم الله أولا ، وانهزم المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قد أمر الرماة أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا فلما رأوا المشركين قد انهزموا طمعوا فى الغنيمة واتبعوه وخالفوا ما أمروا به من الثبوت فى مكانهم فانقلبت الهزيمة على المسلمين (إذ تحسبونهم) أى تقتلونهم قتلا ذريعا يعنى فى أول الأمر (وتنازعتم) وقع النزاع بين الرماة فثبت بعضهم كما أمر وأولم يثبت بعضهم (وعصيتكم) أى خالفتم ما أمرتم به من الثبوت ، وجاءت المخاطبة فى هذا لجميع المؤمنين وإن كان المخالف بعضهم وعظا للجميع ، وسترأعلى من فعل ذلك وجواب إذ محذوف تقديره : لانهزمتم (منكم من يريد الدنيا) الذين حرصوا على الغنيمة معه (التليكم) معناه لينزل بكم ما نزل من القتل والتحصيص (ولقد عفا عنكم) إعلام بأن الذنب كان يستحق أكثر مما نزل بهم لولا عفو الله عنهم ، فمعناه لقد أبقي عليكم ، وقيل هو عفو عن الذنب (إذ تصعدون) العامل فى إذ عفا ، فيوصل إذ تصعدون مع ما قبله ويحتمل أن يكون العامل فيه مضمرة (ولا تلون) مبالغة فى صفة الانهزام (والرسول يدعوكم) كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إلى عباد الله وهم يفرون (فى أخراكم) فى سقائكم وفيه مدخ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن الأخرى هى

فَاتَّبَعْتُمْ غَمًّا بَغْمًا لِكَيْلًا تَحْزِنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَقُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ * يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَأَتَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ

موقف الأبطال (فأنا بكم) أي جازاكم (غما بغم) قيل أنابكم غما بسبب الغم الذي أدخلتموه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المؤمنين، إذ عصيتم وتنازعتم، قيل أنابكم غما بصلابكم، وأحد الغمين: ما أصابهم من القتل والجراح والآخر ما أوجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم (على ما فاتكم) من النصر والغنيمة (ولا ما أصابكم) من القتل والجراح والانهزام (أمنة ناعسا) قال ابن مسعود: نعسنا يوم أحد، والنعاس في الحرب أمان من الله (يغشى طائفة منكم) هم المؤمنون المخلصون، غشيتهم النعاس تأميناً لهم (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) هم المنافقون كانوا خائفين من أن يرجع إليهم أبو سفيان، والمشركون (غير الحق) معناه يظنون أن الإسلام ليس بحق، وأن الله لا ينصرهم، وظن الجاهلية بدل وهو على حذف الموصوف تقديره ظن المودة الجاهلية، أو الفرقة الجاهلية (هل لنا من الأمر من شيء) قالها عبد الله بن أبي بن سلول، والمعنى ليس لنا رأى، ولا يسمع قولنا أولسنا على شيء من الأمر الحق، فيكون قولهم على هذا كفرا (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) يحتمل أن يريد الأقوال التي قالوها أو الكفر (لو كان لنا من الأمر شيء) قاله معش بن قشير، ويحتمل من المعنى ما احتمل قول عبد الله بن أبي (قل لو كنتم في بيوتكم) الآية: رد عليهم وإعلام بأن أجل كل إنسان إنما هو واحد، وأن من لم يقتل يموت لأجله، ولا يؤخر، وأن من كتب عليه القتل لا ينجيه منه شيء (وليبتلي) يتعلق بفعل تقديره فعل بكم ذلك ليبتلي (إن الذين تولوا) الآية: نزلت فيمن فر يوم أحد (استزلهم) أي طلب منهم أن يزولوا، ويحتمل أن يكون معناه أزلهم: أي أوقعهم في الزلل (ببعض ما كسبوا) أي كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها: بأن مكن الشيطان من استزلالهم (عفى الله عنهم) أي غفر لهم ما وقعوا فيه من الفرار (لا تكونوا كالذين كفروا) أي المنافقين (إخوانهم) هي أخوة القرابة، لأن المنافقين كانوا من الأوس والخزرج وكان أكثر المقتولين يوم أحد منهم، ولم يقتل من المهاجرين إلا أربعة (إذا ضربوا في الأرض) أي سافروا وإنما قال إذا التي للاستقبال مع قالوا، لأنه على حكاية الحال الماضية (أو كانوا غزا) جمع غاز وزنه فعل بضم الفاء وتشديد العين (لو كانوا عندنا) اعتقاد منهم فاسد لأنهم ظنوا أن إخوانهم لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يقتلوا، وهذا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَتَمَّ لِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِنْ مَتَمَّ أَوْ قَتَلْتُمْ لِيَلَى اللَّهُ تَحْشَرُونَ * فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَنَ الذِّى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَخُلُوعَ وَمَنْ يَخُلُوعَ يَأْتِ بِمَا غَلَّ

قول من لا يؤمن بالقدر والأجل المحتوم ويقرب منه مذهب المعتزلة في القول بالأجلين (ليجعل) متعلق بقالوا . أى قالوا ذلك فكان حسرة في قلوبهم فاللام للصيرورة لبيان العاقبة (ذلك) إشارة إلى قولهم واعتقادهم الفاسد الذى أوجب لهم الحسرة ، لأن الذى يتيقن بالقدر والأجل تذهب عنه الحسرة (والله يحيى ويميت) رد على قولهم واعتقادهم (وأن قتلتم) الآية إخبار أن مغفرة الله ورحمته لهم إذا قتلوا وماتوا في سبيل الله خير لهم مما يجمعون من الدنيا (وأن ممت أو قتلتم) الآية إخبار أن من مات أو قتل فإنه يحشر إلى الله (فبما رحمة) ما زائدة للتأكيد لانفضوا أى تفرقوا (فاعف عنهم) فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله (وشاورهم) المشاورة مأمور بها شرعا ، وإنما يشاور النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الناس في رأى في الحروب وغيرها لافى الأحكام الشرعية ، وقال ابن عباس وشاورهم في بعض الأمر (فإذا عزمت فتوكل على الله) التوكل هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها ، وفي دفع المضرات ورفعها بعد وقوعها ، وهو من أعلى المقامات ، لوجهين : أحدهما قوله إن الله يحب المتوكلين ، والآخر الضمان الذى فى قوله : ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، وقد يكون واجبا لقوله تعالى : وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، فجعله شرطا فى الإيمان ، والظاهر قوله جل جلاله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، فإن الأمر محمول على الوجوب

واعلم أن الناس فى التوكل على ثلاثة مراتب : الأولى أن يعتمد العبد على ربه كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذى لا يشك فى نصيحته له ، وقيامه بمصالحه ، والثانية : أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه فإنه لا يعرف سواها ، ولا يلجأ إلا إليها ، والثالثة أن يكون العبد مع ربه : كالميت بين يدي الغاسل ، قد أسلم نفسه إليه بالكلية ، فصاحب الدرجة الأولى له حظ من النظر لنفسه بخلاف صاحب الثانية وصاحب الثانية له حظ من المراد والاختبار بخلاف صاحب الثالثة وهذه الدرجات مبنية على التوحيد الخاص الذى تكلمنا عليه فى قوله : وإلهكم إله واحد ، فهى تقوى بقوته ، وتضعف بضعفه ، فإن قيل : هل يشترط فى التوكل ترك الأسباب أم لا ؟ فالجواب : أن الأسباب على ثلاثة أقسام : أحدها : سبب معلوم قطعا قد أجراه الله تعالى : فهذا لا يجوز تركه ؛ كالأكل لدفع الجوع ، واللباس لدفع البرد . والثانى سبب مظنون : كالتيجارة وطلب المعاش ، وشبه ذلك ، فهذا لا يقدم فله فى التوكل لأن التوكل من أعمال القلب ، لامن أعمال البدن ، ويجوز تركه لمن قوى عليه ، والثالث : سبب موهوم بعيد ، فهذا يقدم فعله فى التوكل ، ثم إن فوق التوكل التفويض وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية ، فإن المتوكل له مراد واختيار ، وهو يطلب مراده باعتماده على ربه ، وأما المفوض فليس له مراد ولا اختيار ، بل أسند المراد والاختيار إلى الله تعالى ، فهو أكمل أدبا مع الله تعالى (وما

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرَتِهِمْ يَعْمَلُونَ * لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنِي ضَلَّالٍ مُبِينٍ * أَوْ لَمَّا أَصَبْتُمْ مَصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أِنَّا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقِ الْجَمْعَانِ فَيَا ذُنَّ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا

كَانَ لِنَبِيِّ (أَنْ يَغْلُ) هُوَ مِنَ الْغُلُولِ وَهُوَ أَخَذَ الشَّيْءَ خَفِيَةً مِنَ الْمَغَانِمِ وَغَيْرِهَا ، وَقُرِئَ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الْغَيْنِ ، وَمَعْنَاهُ تَبَرُّؤُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْغُلُولِ ، وَسَبِّحَ أَنَّهُ فَقَدَتْ مِنَ الْمَغَانِمِ قَطِيفَةً حَرَامًا ، فَقَالَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ : لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا ، وَقُرِئَ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الْغَيْنِ ، أَيْ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَغْلُ نَبِيًّا : أَيْ يَخُونَهُ فِي الْمَغَانِمِ ، وَخَصَّ النَّبِيُّ بِالذِّكْرِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مُحْظُورًا مِنَ الْأَمْرِ لِشُعْنَةِ الْحَالِ مَعَ النَّبِيِّ لِأَنَّ الْمَعَاصِيَ تَعْظُمُ بِحَضْرَتِهِ ، وَقِيلَ مَعْنَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ : أَنْ يَوْجَدَ غَالًا كَمَا تَقُولُ أَحَدُتِ الرَّجُلَ ، إِذَا أَصَبْتَهُ مُحْمُودًا ، فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَرْجِعُ مَعْنَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ ، إِلَى مَعْنَى فَتَحِ الْيَاءِ (وَمَنْ يَغْلُ يَأْتِ بِمَا غُلَّ) وَعِيدَ لِمَنْ غُلَّ بِأَنْ يَسُوقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ الشَّيْءَ الَّذِي غُلَّ ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ مَفْسُورًا فِي الْحَدِيثِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : لَا أَلْفَيْنِ أَحَدَكُمْ يَحْيَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بِعِيرٍ لَا أَلْفَيْنِ أَحَدَكُمْ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٍ لَا أَلْفَيْنِ أَحَدَكُمْ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٍ لَا أَلْفَيْنِ أَحَدَكُمْ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٍ لَا أَلْفَيْنِ أَحَدَكُمْ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْسَانٌ ، فَيَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنَى فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا قَدْ بَلَغْتَكَ (أَفَمَنْ أَتَّبَعَ) الْآيَةُ : فَقِيلَ إِنَّ الَّذِي أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ . مَنْ لَمْ يَغْلُ ، وَالَّذِي بَاءَ بِالسَّخَطِ مِنْ غُلٍّ ، وَقِيلَ الَّذِي أَتَّبَعَ الرِّضْوَانُ : مَنْ اسْتَشْهَدَ بِأَحَدٍ ، وَالَّذِي بَاءَ بِالسَّخَطِ : الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ رَجَعُوا عَنِ الْغَزْوِ (وَهُمْ دَرَجَاتٌ) ذُورًا دَرَجَاتٍ ، وَالْمَعْنَى تَفَاوُتٌ بَيْنَ مَنَازِلِ أَهْلِ الرِّضْوَانِ وَأَهْلِ السَّخَطِ أَوِ التَّفَاوُتِ بَيْنَ دَرَجَاتِ أَهْلِ الرِّضْوَانِ فَإِنَّ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ، فَكَذَلِكَ دَرَجَاتُ أَهْلِ السَّخَطِ (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ) الْآيَةُ إِخْبَارٌ بِفَضْلِ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ يَبْعَثُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (مِنْ أَنْفُسِهِمْ) مَعْنَاهُ فِي الْجَنَسِ وَاللِّسَانِ ، فَكَوْنُهُ مِنْ جَنْسِهِمْ يُوْجِبُ الْأَنْسَ بِهِ ، وَقَوْلُهُ اسْتِجَاشُ مِنْهُ ، وَكَوْنُهُ بِلِسَانِهِمْ يُوْجِبُ حَسَنَ الْفَهْمِ عَنْهُ ، وَلِكَوْنِهِ مِنْهُمْ يَعْرِفُونَ حَسْبَهُ وَصَدَقَهُ وَأَمَاتَهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَيَكُونُ ، هُوَ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَشْفَقَ عَلَيْهِمْ وَأَرْحَمَ بِهِمْ مِنَ الْأَجْنِيِّينَ (أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مَصِيبَةٌ) الْآيَةُ . عِتَابٌ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى كَلَامِهِمْ فِيمَنْ أَصِيبَ مِنْهُمْ يَوْمَ أَحَدٍ وَدَخَلَتْ أَلْفُ التَّوْبِيخِ عَلَى وَائِ الْعُطْفِ ، وَالْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَا تَقْدِمُ مِنْ قِصَّةِ أَحَدٍ أَوْ عَلَى مَحْذُوفٍ (قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا) قَتْلُ يَوْمٍ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبْعُونَ ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ سَبْعُونَ ، وَأَسْرَسَ سَبْعُونَ (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) قِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ عَوَّقُوا بِالْهَزِيمَةِ لِمُخَالَفَتِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَقِيمَ بِالْمَدِينَةِ وَلَا يَخْرُجَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَأَبَوْا إِلَّا الْخُرُوجَ ، وَقِيلَ بَلْ ذَلِكَ إِيضًا إِلَى عَصِيَانِ الرَّمَاةِ حَسْبًا تَقْدِمُ (يَوْمَ التَّقِ الْجَمْعَانِ) أَيْ جَمْعَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أَحَدٍ (وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا) الْآيَةُ : كَانَ رَأْيُ

وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ
لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ
مَنْ خَلْفَهُمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُضِيعُ أَجْرَ
الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ *
الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ *

عبد الله بن أبي بن سلول أن لا يخرج المسلمون إلى المشركين ، فله اطلب الخروج قوم من المسلمين ، فخرج رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم : غضب عبد الله ، وقال أطاعهم وعصانا ، فرجع ورجع معه ثلاثمائة رجل ، خمسين
فمضى في أثرهم عبد الله بن عمر بن حزام الأنصاري ، وقال لهم ارجعوا قاتلوا في سبيل الله ، أو ادفعوا ، فقال له
عبد الله بن أبي ما أرى أن يكون فقال ، لو علمنا أنه يكون قتال لسكننا معكم (أو ادفعوا) أي كثروا السواد ،
وإن لم تقاتلوا (الذين قالوا) بدل من الذين نافقوا ، أو لإخوانهم في النسب ، لأنهم كانوا من الأوس والخزرج
(قل فادروهوا) أي ادفعوا المعنى رد عليهم (بل أحياء) إعلام بأن حال الشهداء حال الأحياء من التمتع
بأرزاق الجنة بخلاف سائر الأموات من المؤمنين فإنهم لا يتمتعون بالأرزاق حتى يدخلوا الجنة يوم القيامة
(ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم) المعنى أنهم يفرحون بإخوانهم الذين بقوا في الدنيا من بعدهم لأنهم
يرجون أن يستشهدوا مثلهم فينالوا مثل ما نالوا من الشهادة (ألا خوف) في موضع المفعول أو بدل من
الذين (يستبشرون) كرر ليدكر ما تعلق به من النعمة والفضل (للذين استجابوا) صفة للمؤمنين أو مبتدأ
وخبره للذين أحسنوا الآية ، ونزلت في الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اتباع المشركين
بعد غزوة أحد ، فبلغ بهم إلى حرام الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة ، وأقام بها ثلاثة أيام ، وكانوا
قد أصابهم جراحات وشدائد ، فتجلدوا وخرجوا فدحهم الله بذلك (الذين قال لهم الناس) الآية : لما خرج
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حرام الأسد بعد أحد : بلغ ذلك أبا سفيان فر عليه ركب من عبد القيس
يريدون المدينة بالميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب على أن يثبطوا المسلمين عن اتباع المشركين فخوفوهم
بهم ، فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرجوا ، فالناس الأول ركب عبد القيس ، والناس الثاني مشركو قريش
وقيل نادى أبو سفيان يوم أحد : موعدنا بيدر في القابل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن شاء الله
فلما كان العام القابل : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بدر للبيعاد ، فأرسل أبو سفيان نعيم بن
مسعود الأشجعي ليثبط المسلمين ، فعلى هذا الناس الأول نعيم ، وإنما قيل له الناس وهو واحد : لأنه من
جنس الناس كقولك ركب الخيل إذا ركب فرسا (فزادهم) الفاعل ضمير المفعول ، وهو إن الناس
قد جمعوا لكم فآخشوهم ، والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص ، فعناه هنا قوة يقينهم وثقتهم بالله (حسبنا

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۚ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۚ وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۚ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيْزِدُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۚ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۚ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۚ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۚ لَقَدْ

الله ونعم الوكيل) كلمة يدفع بها ما يخاف ويكره وهى التى قالها إبراهيم عليه السلام حين أتى فى النار ، ومعنى حسبنا الله : كافينا وحده فلا نخاف غيره ، ومعنى ونعم الوكيل : ثناء على الله وأنه خير من يتوكل العبد عليه ويلجأ إليه (فانقلبوا) أى رجعوا بنعمة السلامة وفضل الأجر (واتبعوا رضوان الله بخروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) (ذلكم الشيطان) المراد به هنا أبو سفيان ، أو نعيم الذى أرسله أبو سفيان أو إبليس ، وذلكم مبتدأ ، والشيطان خبره وما بعده مستأنف ، أو الشيطان نعت وما بعده خبر (يخوف أوليائه) أى يخوفكم أيها المؤمنون أوليائه وهم الكفار ، فالمفعول الأول محذوف ويدل عليه قوله : فلا تخافونهم ، وقرأ ابن مسعود وابن عباس يخوفكم أوليائه ، وقيل المعنى يخوف المنافقين وهم أوليائوه من كفار قريش ، فالمفعول الثانى على هذا محذوف (ولا يحزنك) تسليية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقرئ بفتح الياء وضم الزاى حيث وقع مضارعاً من حزن الثانى ، وهو أشهر فى اللغة من أحزن (الذين يسارعون فى الكفر) أى يبادرون إلى أقواله وأفعاله وهم المنافقون والكفار (إن الذين اشتروا) الآية هم المذكورون قبل أو على العموم فى جميع الكفار (إنما نملئ لهم خير) أى نملئهم أن مفعول يحسبن ، وما اسم أن فحقها أن تكتب منفصلة وخير خبر : إنما نملئ لهم ما هنا كافة والمعنى رد عليهم أى أن الإملاء لهم ليس خيراً لهم إنما هو استدراج ليكتسبوا الإيمان (ما كان الله ليذر المؤمنين) الآية : خطاب للمؤمنين ، والمعنى ما كان الله ليدع المؤمنين مخاطبين بالمنافقين ، ولكنه ميز هؤلاء من هؤلاء بما ظهر فى غزوة أحد من الأقوال والأفعال التى تدل على الإيمان أو على النفاق (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) أى ما كان الله ليطلعكم على ما فى القلوب من الإيمان والنفاق أو ما كان الله ليطلعكم على أنكم تغلبون أو تغلبون (ولكن الله يجتبي) أى يختار من رسله من يشاء فيطلعهم على ما شاء من غيبه (الذين يبخلون) يمنعون الزكاة وغيرها (هو خيراً) هو فضل وخيراً مفعول ثان ، والأول محذوف تقديره لا يحسبن البخل خيراً لهم (سيطوقون) أى يلزمون إثم ما بخلوا به ، وقيل يجعل ما بخلوا به حية يطوقها فى عنقه يوم القيامة (لقد سمع الله) الآية : لما نزلت : من ذا الذى يقرض الله : قال بعض اليهود وهو

سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ
ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۖ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۖ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ الْإِنْسَانِ
أَلَّا تُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بَقْرَبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِ الْبَيْتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ
فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۖ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ
وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۖ كُلُّ نَفْسٍ ذَا نَفْسٍ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ
الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۖ لَتَبْلُوهَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ
ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۖ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا

فبحاص ، أوحى بن أخطب أو غيرهما إنما يستقرض الفقير من الغنى ، فالله فقير ونحن أغنياء ، فنزلت هذه
الآية ، وكان ذلك القول منهم اعتراضا على القرآن أوجبه قلة فهمهم ، أو تحريفهم للمعاني ، فإن كانوا قالوه
باعتقاد فهو كفر ، وإن قالوه بغير اعتقاد : فهو استخفاف ، وعناد (سنكتب ما قالوا) أى تكتبه الملائكة
فى الصحف (وقتلهم الأنبياء) أى قتل آبائهم للأنبياء ، وأسند إليهم لأنهم راضون به ، ومتبعون لمن فعله من
آبائهم (الذين قالوا) صفة للذين ، وليس صفة للعبيد (حتى يأتيانا بقربان) كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا قبول
الله لصدقة أو غيرها جعلوه فى مكان ، فتزل نار من السماء فتحرقه ، وإن لم تنزل فليس بمقبول ، فزعموا أن
الله جعل لهم ذلك علامة على صدق الرسل (قل قد جاءكم رسل) الآية : رد عليهم بأن الرسل قد جاءتهم بمعجزات
توجب الإيمان بهم ، وجاءهم أيضا بالقربان الذى تأكله النار ، ومع ذلك كذبوهم وقتلوهم ، فذلك يدل على
أن كفرهم عناد ، فإنهم كذبوا فى قولهم إن الله عهد إلينا (فإن كذبوك فقد كذب) الآية تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم بالناسى بغيره (فمن زحزح) أى نحى وأبعد (لتبلون) الآية : خطاب للمسلمين ، والبلاء فى الأنفس
بالموت والأمراض ، وفى الأموال بالمصائب والإنفاق (ولتسمعن) الآية : سيها قول اليهود إن الله فقير ،
وسبهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمسلمين (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) قال ابن عباس هى لليهود : أخذ
عليهم العهد فى أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكتموه ، وهى عامة فى كل من علمه الله علما (الذين يفرحون
بما أتوا) الآية : قال ابن عباس نزلت فى أهل الكتاب سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه
وأخبروه بغيره ففرحوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا إليه بذلك ، وفرحوا بما أتوا
من كتابهم إياه ما سألهم عنه ، وقال أبو سعيد الخدرى : نزلت فى المنافقين : كانوا إذا خرج النبي صلى الله عليه
وسلم الى الغزو تحلفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ، وإذا قدم النبي صلى الله عليه وسلم اعتذروا

فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝
 إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِيَ الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا
 وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا
 عَذَابَ النَّارِ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۝ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي
 لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۝ رَبَّنَا وَءَاتِنَا
 مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٌ
 عَمِلَ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِ
 وَقَاتِلُوا وَقَاتِلُوا لَا كُفْرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَ جَنَّتِهِمْ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ
 عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ۝ لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ۝ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝
 لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
 لِلْأَبْرَارِ ۝ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ

إليه ، وأحبوا أن يحمدهوا بما لم يفعلوا (فلا تحسبنهم) بالثناء وفتح الباء : خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ،
 وبالياء وضم الباء : أسند الفعل للذين يفرحون : أى لا يحسبون أنفسهم بمفازة من العذاب ، ومن قرأ تحسبن
 بالياء : فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والذين يفرحون : مفعول به ، وبمفازة المفعول الثانى ،
 وكرر فلا تحسبنهم : للتأكيد ، ومن قرأ لا يحسبن بالياء من أسفل ، فإنه حذف المفعولين ، لدلالة مفعولى
 لا تحسبنهم عليهما (واختلاف الليل والنهار) ذكر فى البقرة (قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) أى يذكرون الله
 على كل حال فكان هذه الهيآت حصر لحال بنى آدم ، وقيل إن ذلك فى الصلاة : يصلون قياماً ، فإن لم يستطيعوا
 صلوا قعوداً ، فإن لم يستطيعوا صلوا على جنوبهم (ربنا) أى يقولون . ربنا ما خلقت هذا لغير فائدة بل خلقتة
 وخلقت البشر ، لينظروا فيه فيعرفونك (سمعنا منادياً) هو النبى صلى الله عليه وسلم (ما وعدتنا على رسلك)
 أى على السنة رسلك (من ذكر وأنثى) من لبيان الجنس ، وقيل زائدة لتقدم النفى (بعضكم من بعض) النساء
 والرجال سواء فى الأجور والخيرات (وأخرجوا من ديارهم) هم المهاجرون آذاهم المشركون بمكة حتى خرجوا
 منها (ثواباً) منصوباً على المصدرية (لا يغرنك) الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أى لا تظنوا أن حال الكفار
 فى الدنيا دائمة فتهتمو بذلك ، وأنزل لا يغرنك منزلة لا يحزنك (متاع قليل) أى تقلبهم فى الدنيا قليل بالنظر إلى
 ما فاتهم فى الآخرة (نزلاً) منصوب على الحال من جنات أو على المصدرية (الأبرار) جمع بار وبر ، ومعناه
 العاملون بالبر ، وهى غاية التقوى والعمل الصالح ، قال بعضهم الأبرار : هم الذين لا يؤذون أحداً (وإن من
 أهل الكتاب) الآية : قيل نزلت فى النجاشى ملك الحبشة ، فإنه كان نصرانياً فأسلم ، وقيل فى عبد الله بن سلام

بَيَّاتِ اللَّهُ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا
وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝

سورة النساء

مدنية وآياتها ١٧٦ نزلت بعد الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝

وغیره من أسلم من اليهود (لا يشترتون) مدح لهم ، وفيه تعريض لذنم غيرهم من اشترى بآيات الله ثمنا قليلا
(وصابروا) أى صابروا عدوكم فى القتال (ورابطوا) أقيموا فى الثغور مرابطين خيلكم مستعدين للجهاد ، وقيل
هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله ، أى معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية والأول أظهر ، قال صلى الله
عليه وآله وسلم رباط يوم فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه وأما قوله فى انتظار الصلاة فذلكم الرباط
فهو تشبيه بالرباط فى سبيل الله لعظم أجره ، والمرباط عند الفقهاء هو الذى يسكن الثغور فيرباط فيها وهى
غير موطنه ، فأما سكانها دائما بأهلهم ومعايشهم فليسوا مرابطين ، ولكنهم حماة ، حكاه ابن عطية .

سورة النساء

(يا أيها الناس اتقوا ربكم) خطاب على العموم وقد تكلمنا على التقوى فى أول البقرة (من نفس واحدة)
هو آدم عليه السلام (زوجها) هى حواء خلقت من ضلع آدم (وبث) نشر (تساءلون به) أى يقول
بعضكم لبعض أسألك بالله أن تفعل كذا (والأرحام) بالنصب عطفًا على اسم الله أى اتقوا الأرحام فلا
تقطعوها ، أو على موضع الجار والمجرور ، وهو به ، لأن موضعه نصب وقرئ بالحذف عطف على الضمير
فى به ، وهو ضعيف عند البصريين ، لأن الضمير المخفوض لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض (إن الله كان
عليكم رقيباً) إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة ، وهو مقام شريف أصله علم وحال ،
ثم يشعر حالين : أما العلم : فهو معرفة العبد : لأن الله مطلع عليه ، ناظر إليه يرى جميع أعماله ،
ويسمع جميع أقواله ، ويعلم كل ما يخطر على باله ، وأما الحال فهى ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب
عليه ، ولا يغفل عنه ، ولا يكتفى العلم دون هذه الحال ، فإذا حصل العلم والحال : كانت ثمرتها عند
أصحاب اليمين : الحياة من الله ، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصى والجد فى الطاعات ، وكانت ثمرتها عند
المقربين : الشهادة التى توجب التعظيم والإجلال لذى الجلال وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم بقوله : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فقوله أن تعبد الله كأنك
تراه : إشارة إلى الثمرة الثانية ، وهى المشاهدة الموجبة للتعظيم : كمن يشاهد ملكا عظيما ، فإنه يعظمه إذا ذاك
بالضرورة ، وقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك : إشارة إلى الثمرة الأولى ومعناه إن لم تكن من أهل المشاهدة
التي هى مقام المقربين ، فاعلم أنه يراك فكأن من أهل الحياة الذى هو مقام أصحاب اليمين ، فلما فسر الإحسان